المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد السادس عشر، يونيو ٢٠١٨ م

موقف الأدب الإسلامي من الجمال الفني

محمد شفيع الله قطبي *

Abstract

The essay offers the sources and the definition of al-Adab (الادب). The literary meaning of Adab is discussed here as invitation, improvement of character, education, practice of art, culture, writing etc. Whereas its terminological meaning is the cultural expression of man, life and the earth. The source and the gradual improvement of meaning from Jahiliyat (جاهلية) to the present age have been discussed here, even the definition of Islamic Literature that is the new expression of Islamic feelings from the core of heart. A materializing circumstance of a strong literary movement has been widely discussed as the west was strongly wounding the belief, ideology, history and glory of Islam of every page of Islamic literature. Moreover, the necessity of Islamic literature(الأدب الإسلامي) has been upheld to keep the value of literature, to make the strong link between readers' beliefs and literary feelings, to stand in the field of struggling against the western sexual literature supporting the Islamic belief and aqidah (العقيدة). Indeed, the Islamic literature is the demand of the time as the aim of Islamic literature is to build a new nation, to establish a well-planned society, to give the world a clear and pure literature. The Islamic literature also shows the worldly peace and the salvation in hereafter to the reader. On the other hand the western literature leads its reader to an opposite world.

التقديم

لقد ساير الأدب أهل زمانه في كل العصور، فالطائفة الإنسانية رحبت بالأدب حسب تمدنها وحضارتها ونمو فكرتها واشتغالها بتصوير الطبيعة وأخبار الأحبة وصناعة التعبير عما يخطر ببالها من الحزن والسرور والحب والبغض والحقد والشحناء، والأدب مثل سيف ذي حدين سخره الإنسان لصالح النفس وصالح الشعب وصالح القبيلة، والإسلام بعد ماجاء إلى الوجود سخر هذا السيف لصالح الإنسانية جمعاء، وكان الأدب

* محاضر، القسم العربى، جامعة شيتاغونغ

الإسلامي اهتم بالجمال، وذلك لأن الإنسان مجبول على حبه، فأينما رآه يرغب فيه، وقد تجلى ذلك الجمال في نصوص القرآن والحديث، وفيما يلي نلقي الضوء على هذه المعاني حتى تتجلى وتتضح وضوح الشمس في رابعة النهار.

المعنى اللغوي لكلمة "الأدب"

يعد العرب أقدم الأمم عامة استعمالا لهذا اللفظ "الأدب"، وكانوا يقولون: أدب فلان أي صنع مأدبة، وأدب القوم أي دعاهم إلى المأدبة لأكل الطعام، وتأدب الرجل: راض نفسه على محاسن الأخلاق والعادات،آدب الرجل أي راضه على محاسن الأخلاق ولقنه فنون الأدب وجازاه على إساءته، وأدَّب الدابة أي: روضهاوذللها [1] والأدب على ماجاء في المعجم: رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ماينبغي وجملة ماينبغي لدى الصناعة أو الفن أن يتمسك به كأدب القاضي وأدب الكاتب.[2] والأدب هو المعرفة والثقافة خارج نطاق العلوم الدينية والفقهية، بحيث يوصف أهل المعرفة والثقافة بالأدباء في حين يوصف أهل الفقه بالعلماء، وهو في المعرفة الموسوعية الاقتدار على فنون القول والكتابة وأنواع العلوم من كل علم بطرف، و هو يشتمل على مهنة الفكر وصناعة الكتابة والتأليف.[3]

الأدب: مفهومه على ضوء مااصطلح عليه الأدباء

الأدباء كما كثر عددهم تعددت نظرياتهم تجاه الأدب، فقد جاء أن الأدب فن من الفنون الجميلة التي تصور الحياة وأحداثها، بما فيها من عواطف وأفكار بأسلوب جميل وصورة بديعة وخيال رائع.[4] ويرى الأديب البارع الشهير أبو الحسن علي الحسني الندوي أن الأدب هو: "تعبير عن الحياة وعن الشعور والوجدان في أسلوب مفهم مؤثر لاغير".[5] وابن خلدون يقول:"علم الأدب هو الإجادة في المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم"، فالأدب كل شعر أو نثر يؤثر في النفس ويهذب الخلق ويدعو إلى الفضيلة ويبعد عن الرذيلة بأسلوب جميل.[6] و يرى الأستاذ علي رضا:"أنه صياغة فنية لتجربة بشرية، ويقول أيضا: إن الأدب تعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة"، ويقول آخرون : هو نقد للحياة.[7] ويرى الدكتور محمد حلمي عليوه:"أنه التعبير الجميل عن مشاعر الإنسان وخواطره ، والتصوير الناطق للطبيعة، والتسجيل الصادق لمشاهد الحياة" [8]

التطور الدلالي لكلمة " الأدب" عبر العصور

لفظ الأدب معروف عند العرب منذ الجاهلية بالمعنى الذي سبق ذكره ، والآدب: هو الذي يدعو الناس إلى الطعام، وهذا طرفة بن العبد[9] يستعمل

لفظ "الآدِب" في هذا المعنى،فيقول: نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر[10]، وقد استعمل النعمان بن المنذر الآداب بمعنى الأخلاق، فهذه رسالته إلى كسرى يرفقها وفدا من العرب يرسلهم إلى ملك الفرس يقول فيها: " وقد أوفدت - أيها الملك - رهطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم أي أخلاقهم،[11] ثم جاء الإسلام فتقدم لفظ الأدب واستزادت معانيه وصار يدل على التثقيف والتعليم ورقة الخلق واستقامة الطبيعة ، واستعمل أيضا علم الأدب في مقابل علم الدين، يقول محمد بن علي بن عبد الله بن عباس- كفاك من علم الدين ما لايسع جهله، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل.[12] ثم جاء دور الأمويين على منصة الخلافة الإسلامية، فتوسع في هذا العصر معنى الأدب واشتمل على التهذيب الخلقي واللساني، والمؤدِّب هو الذي يعلم أولاد الخلفاء والأمراء الشعر والخطب وأخبار العرب وأيامهم، فالأدب في هذا العصر يدل على رواية الشعر والأخبار وأحاديث الأولين،[13] ولما جاء العصر العباسي اتسع نطاق مدلول الأدب فأطلق على الوصايا والخطب بجانب الشعر والأخبار والأحاديث؛ لأنها تؤثر في تهذيب الأخلاق وتقويم اللسان، فهذا ابن المقفع [14] يسمي كتابين له : الأدب الصغير والأدب الكبير، وهذان الكتابان يهدفان إلى تهذيب الأخلاق وإصلاحها، علما بأن لفظ الأدب لم يرفض أي معنى استعمل له الأدباء منذ الجاهلية إلى الآن، وقد وجد الأدب سعة أكثر لمعناه، فهو الآن يشتمل على كل عمل بديع مؤثر جميل منثورا كان أو منظوما.

مفهوم الأدب الإسلامي عند الأدباء الإسلاميين

الأدب الذي يصور ما فيه الخير دون تشويه وتحريف، ودون تغيير وتبديل هادفا إلى بناء جيل صالح ومجتمع صالح دون أن ينتهك حرمات الإسلام هو الأدب الإسلامي، و الدكتور جابر قميحة يقول:"طرح النقاد والمنتمون إلى الأدب الإسلامي تعريفات متعددة له، فمنها تعريف الرابطة: الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون في حدود التصور الإسلامي لها". وهذا سيد قطب – رحمه الله – أعظم أعمدة الأدب الإسلامي يقول في تعريفه: " الأدب الإسلامي هو التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية". والدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا – رحمه الله – يقول: " الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون الإنساني على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق – عزوجل – ومخلوقاته، ولايجافي القيم الإسلامية".[15] ويقول محمد المجذوب: " الأدب الإسلامي هو الفن المصور للشخصية الإنسانية من خلال الكلمة المؤثرة". ويعرف محمد

حسن بريغش: " الأدب الإسلامي بأنه التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي"،[16] و الدكتور نجيب الكيلاني الذي أغنى الكتب الإسلامية بالعطاءات الأدبية يقول في تعريفه: " الأدب الإسلامي تعبير فني جميل مؤثر، نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف، والقيام بنشاط ما.[17] وبالنظر الدقيق في التعريفات السابقة للأدب الإسلامي يتبين لنا أنها تتفق على أمر واحد، وهو: " أن الأدب الإسلامي هو تعبير جمالي وفني مؤثر بالكلمة عن الحياة والإنسان والكون، وصدى القيم في النفس والتصورات الفكرية من خلال الرؤية الإسلامية.[18]

خصائص الأدب الإسلامي: يمتاز الأدب الإسلامي بالخصائص الآتية:

1- الالتزام العقدي:الأدب الإسلامي يلتزم العقيدة الإسلامية، وهذه صفة لا يفارقها عوض، فالأدب الإسلامي أدب ملتزم ، وما سواها منبثق منها.

2- الغائية والجدية: الأدب الإسلامي له غاية جادة، وهذه حقيقة منبثقة عن حقيقة إسلامية كبيرة، وهي أن الفرد المسلم ينزه نفسه عن أن يحدث عملا أو أن يقول قولا ليس من ورائه غاية جادة، أو أن يكتب شيئا دون أن ينظر مسبقا إلى عواقبه ونتائجه، ومدى العائد عليه منه، وإنه يترفع عن أن يأتي هذا العبث المضيع للوقت المحسوب، وأن يهدر طاقته الخلاقة، أو أن يضيع أوقات الآخرين، ويبدد طاقتهم فيما لا خير فيه.

3- الشمول والتكامل : ينظر الإسلام إلى المرء نظرة شاملة متكاملة باعتباره الإنسان جسدا وروحا معا، ويأخذه أخذا شاملا متكاملا بكل ما فيه من الجوانب والزوايا؛ ليحدث فيه التوازن والانسجام.

4- الواقعية : الأدب الإسلامي في واقعيته يرسم ما في الفرد من نقائص وعيوب وضعف وخسة وهبوط، و على أساس أنها شر، لا على أساس أنها واقع وضرورة لازمة لا محيد عنها.

5- الإيجابية والحيوية المتطورة: لاالسلبية المستسلمة. فالإسلام يعترف بأن في الإنسان ضعفا يجره إلى السقوط والانزلاق ومفارقة الآثام والمنكرات، ويدفعه إلى هوة الدنايا والانحطاط، أو يمسك به عن إتيان العظائم، يقول القرآن الكريم: و"خلق الإنسان ضعيفا"[19].

علاقة الأدب الإسلامي بالجمال

وقبل أن ندخل في أصل الموضوع نعرف سريعا تعريف الجمال ، وقد اختلف الأدباء الإسلاميون فيه، فقال بعضهم : إنه ذلك الذي يسر عند

رؤيته أو تأمله، وقال آخرون: إنه الوعد بالسعادة، ويقول فريق : الجمال مسألة نسبية أو تجريدية، وترى فئة أخرى : أن الجمال خبرة مباشرة [20] الجمال من خصائص الأدب الإسلامي، وهو شيء مطلوب له، فإنه تعبير فني جميل مؤثر. و"من طبيعة الإنسان، على ماخلقها الله، الانجذاب إلى كل ماهو جميل، فأراد سبحانه أن يجعل من الجمال – في شتى صوره – مناط رضى وسعادة لدى الإنسان".[21] وقد ورد في الحديث الشريف : "إن الله جميل يحب الجمال".[22]

محاولة تشبه تتبع "الجمال" في القرآن الكريم

والقرآن الكريم ليس كتابا في علم الجمال ، ولكن إذا تتبعنا فيه لوجدنا استعمالا كثيرا للجمال ، فالقرآن يأمر المصلين بأخذ الزينة عند الصلاة : يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ (الأعراف : 7 :31) وفي سورة النحل : وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (16:6) وفي سورة غافر (40 : 64) والتغابن (64 : 3) وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ . وهناك آيات قرآنية أخرى تروي أحاسيسنا بالجمال : فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (البقرة: 2-69) ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ (فاطر: 35- 27-28) ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (الحجر : 15- 19) ، وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (الحجر: 15- 16) ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (السجدة : 32- 7) ، أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا (ق : 50- 7) ، مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ (الملك : 67 : 3) ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (ق: 50- 7) ، صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ (النمل 27- 88) ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ (يونس : 10- 24) ،وإذا أمعنا النظر في هذه الآيات استخلصنا تلك الصفات الجمالية التي لها صلة بالفن فهي[23]:

1- التنوع والتوازي
2- التناسب والاتزان
3- الاتقان
4- النزاهة والنقاء
5- الإمتاع

"الجمال" الذي نزل به القرآن

وللجمال مظاهر مختلفة ، منها النظافة، وقد جاء في القرآن الكريم: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً (إبراهيم : 14 : 24) ، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " إن الله نظيف يحب النظافة"،[24] ومنها

الجمال الفني الأدبي، وقد نزل القرآن الكريم في أجمل الأساليب وأروعها في الوجود، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أوتي جوامع الكلم ومنابع الحكم، وهو أفصح العرب على بكرة أبيهم.

الجمال نعمة من الله

وقد رأينا فيما سبق أن الجمال لايتعارض مع النصوص القرآنية، ولا يمنع عنه الإسلام، ولا عن استخدامه الأدبي أو عن الاستمتاع به، بل الجمال نعمة أنعمها الله تعالى على الإنسان، ولكن الشريعة الإسلامية لم تتركه دون عنان، بل جعل له حدا يقف عنده ولا يتجاوزه حتى لا ينحرف مجرى أفكارنا وأعمالنا عن جادة الطريق.

موقف الرسول – عليه السلام – من الجمال الأدبي

لقد ورد من الرسول – صلى الله عليه وسلم – أحاديث فيما يتعلق بموضوع الأدب والجمال، منها: "إن من الشعر لحكمة"،[25] وقد ذكر الصحابة -رضوان الله عليهم- أن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – كان يتذوق الشعر ويستنشد بعض أصحابه، ويستحسنه. ذات يوم أنشد عند رسول الله قول لبيد بن ربيعة : "ألا كل شيء ما خلا الله باطل"، فعلق عليه رسول الله قائلا : "إنه أصدق كلمة قالها شاعر"،[26] وقد أثنى على طرفة بن العبد حين سمع بيته : " ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزودى " قائلا : "هذا من كلام النبوة".[27] ومدح على عنترة بن شداد عندما سمع بيته[28] : "ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل " فقال: "ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة"،[29] وروي أيضا أحاديث في ذم الشعر وصاحبه، من ذلك قوله – عليه الصلاة والسلام : "امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار"،[30] إذن يطرح السؤال نفسه ماذا وجد – عليه السلام - في شعر امرئ القيس فاستنكره ؟ وما الذي حرضه على أن يستحسن شعر الآخرين وأن ينشد لهم في مجالسه المتفرقة؟ وإذا بحثنا عن ذلك لألفينا لدى امرئ القيس – كما صرح إقبال – "الخمر الفوار والعواطف التي تسبب الوهن، ومواقف الحب والنواح الممزق للقلب على الأطلال وعلى ديار الحبيب الدارسة ... فشعر امرئ القيس يروق للخيال أكثر من أن يحض الإرادة، وهو من حيث الكل يعمل مخدرا لعقل المتلقي".[31] والذي رأينا من إشادة النبي – عليه الصلاة والسلام – على شعر بعض الشعراء فالسر فيه أن مثل ذلك الشعر يحث المتلقي والسامع على أن يمجد الخالق ويعظمه، ويحرض على العمل والكد حتى يفوز في معركة الحياة، كما يخلق الحيوية والنشاط في الأذهان. وأما "الذي يأتينا

بالخمول والكسل ويجعلنا نغلق أعيننا عن الحقائق الموجودة حولنا، رغم أن الحياة تتوقف على التمكن من استيعاب هذه الحقائق والسيطرة عليها، فكل ذلك يجرنا إلى التدهور والموت. وينبغي ألا يوجد أكل الأفيون في مجال الفن. ومبدأ الفن للفن فكرة مبتكرة ذكية ولكنها تدعو للانحطاط وتحاول أن تقذف بنا من إطار الحيوية والقوة بخداع".[32]

لمنطلق الذي يبدأ منه كل انطلاق

إذا التفتنا إلى هذه الآية الكريمة " وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ (الرعد: 13: 17) نستطيع أن نستخرج منها المبدأ الأساسي الذي يستوجب منا الانطلاق منه في كل ما نذهب إليه من المنطلقات في الحياة، سواء كان أدبا وفنا أو غير ذلك. ويتضح أن المنفعة والفائدة أو الهدف هو الذي يجب أن نركز عليه عنايتنا، ولا يعنى ذلك التقليل من المنفعة الجمالية الحاصلة من عمل فني ما هادف.

ضوابط الأدب الإسلامي كلها إنسانية

الأدب الإسلامي أدب ملتزم، له ضوابط وحدود، يتقيد بها ويحتفظ عليها، وكل ذلك على أساس تلك المبادئ الإنسانية التي أمر بها المسلمون في حياتهم الأسرية والاجتماعية والسياسية، ولايعنى ذلك أن هذا الالتزام ينقص من الحرية ويضيق المجال للعمل، وإنما هو "التزام رحب شامل إنساني إذا ما قورن بالاتجاهات الالتزامية الأخرى"[33] في الأدب والنقد. والقيود التي وضعها الشارع في التزام الأدب الإسلامي كلها لصون الإنسان حتى لا يقع فيما هو يضر بالنسبة للفرد والجماعة، وتنظم الملتزمين في سلك واحد وتوجههم نحو الهدف الإنساني النبيل، والذين لا يلتزمون القيود ولا يهدفون إلى أي غرض فكرتهم متشردة منحرفة وعملهم فوضى، "فالالتزام هو بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم صداما أفضى إلى الفوضي"[34] كما عبر الروائي الأمريكي نورمان مالر.

الجمال بُعد من أبعاد الحقيقة

الأديب المسلم قبل أن يدخل ساحة العمل يقرر هدفه؛ فإنه هادف فيما يكتب، والحقيقة عنده وحدة لها ثلاثة مظاهر : الحق، والخير، والجمال. فالحركة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية يجب أن تقود إلى الحق؛ والتفاعل السلوكي يجب أن يكون هدفه أو غايته الخير؛ كما أن أبصارنا وعواطفنا وإحساساتنا يجب أن تتوجه إلى الجميل حيث إن الجمال هو النظام أو التناسب المتسبب عن تلاؤم القوانين السماوية مع الحياة الأرضية.[35] فقد رأينا أن الجمال بُعد من أبعاد الحقيقة الثلاثة. فالأدب

الإسلامي جامع بين الجمال والغاية أو الهدف. والهدف لا يظلم شيئا من قيمة الأدب الفنية، ومما لا شك فيه " أن تيار الأدب الملتزم قد لقي نجاحا كبيرا وتأييدا واسعا في أوربا، ولم ينل الالتزام من قيمته الفنية. كذلك حركة البعث الأدبي في روسيا قدمت لنا روائع (دوستو فسكي) و(تولوستوي) و (كوركي). وهؤلاء العمالقة لم يكتسبوا شهرتهم الأدبية بسبب التفوق الفني الشكلي فحسب، بل يضاف إليه تلك المضامين الفكرية المؤثرة، وذلك الالتزام بوجهة نظر معينة"[36].

الجمال ليس بغاية في الأدب الإسلامي

لقد اهتم دعاة مذهب الفن للفن بالجمال، وجعلوه غاية الأدب، وأما الأديب المسلم فلا يرى الجمال غاية في الأدب الإسلامي، رغم ذلك لا يهمل الجانب الشكلي كما فعل الرومانسيون والواقعيون المحدثون. كذلك لا يمعن في الذاتية ولا في الموضوعية على انفرادهما، وإنما " يجمع بين عالم الذات والعالم الخارجي بأحداثه وموضوعاته "،[37] فالأدب الإسلامي واقعي بمعناه الصحيح وكلاسيكي من حيث تعادل المضمون مع الشكل، ولكن هدفه أنبل من الكلاسيكيين – الإغريق كانوا أو الإنجليز، فيسمو بالروح الإنسانية إلى المعارج العليا والمثل الرفيعة والقيم الراقية من خلال تهذيب الإنسان وتثقيفه وبسط أفقه الذهني وتوسيعه؛ فإنه يشمل الإنسانية كلها. وهناك يتميز الأدب الإسلامي عن الآداب الأخرى بما يختص من الصدق والهدفية والإفادة، إضافة إلى ذلك أنه يحمل في طيه مضامين فكرية سامية، وجمالا فطريا مطلوبا.

أدب الاستمتاع من المنظور الإسلامي

الجمال قيمته من أجل استمتاع الناس به إما نظرا وإما لمسا وإما ذوقا، ولولا الاستمتاع لما نال الجمال قيمة ولاوزنا، والعكس أن الإنسان لا يستمتع بالقبح، فلم يكن له وزن وقيمة. إذن يطرح السؤال نفسه ما هو المنظور الإسلامي نحو أدب الاستمتاع؟ إذا التفتنا إلى القرآن الكريم نرى أنه يحكي قصة سليمان – عليه السلام : يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (سبأ : 34: 13)، وقد أثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه أعطى ابن عمه عقيل بن أبي طالب خاتما ذا تماثيل منحوتة على فصه ، وكان عقيل نفسه قد نزعه من أحد الأعداء الكفار في غزوة مؤتة، وقدمه إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – من ضمن غنيمة حصل عليها المسلمون،[38] إذن القرآن والحديث كأنهما لا يمنعان عنه إذا لم يلحق به ضرر دنيوي أو أخروي ، وهناك نترك المجال

للدكتور عبد الحكيم خليفة يقول: " إن المحك في هذا الصدد هو على لسان إقبال: [39]

إن سرت في اللحون دعوة موت حرم النادي عندنا والرباب

وقال: هذا هو السبب الذي أثار ألطاف حسين حالي (شاعر أردي معروف) على شعراء عصره حيث قال ما معناه:

" إذا كان قول الزور لا يجوز، فالمقترفون للآثار كلهم سيطلق سراحهم يوم الجزاء – ما عدا شعرائنا ، فيملؤون جهنم وقودا". [40]

وقال في بيت آخر:

" هذه الدواوين الشعرية القذرة إنما هي أكثر عفونة من المرحاض "[41]

وعلق عليه الدكتور عبد الحكيم قائلا: إذا كان الفن يخلو مما يميت القلوب فلا بأس به. [42]

المنظور الإسلامي من الأدب الضاحك

الأدب الضاحك من خلال السخرية والمواقف الحرجة هل هذا مما يسمح به الأدب الإسلامي؟ هناك نترك المجال للأديب الإسلامي العبقري نجيب الكيلاني يقول: الحياة ليست هزلا صرفا ولا جدا صرفا ، وإنما هي مزيج بين هذا وذاك. والتسلية والمزاح من حق كل إنسان أن يرتوي بهما. كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "يمزح ولايقول إلا حقا"،[43] ويقول : " لامانع من الأدب الساخر لكننا نشترط فيه العفة وعدم الإفحاش في القول"،[44] وينبغي أن يكون الأدب الساخر هادفا بناءً ذا غاية نبيلة، " لأن الأدب الساخر لم ينل مكانته السامية على يد (برنارد شو) و (إبسن) وغيرهما؛ لأن سخرياتهم كانت تنصب على أوضاع فاسدة في المجتمع ... أما الأحداث المثيرة – مجرد الأحداث – التي لا تنطوي على مضامين فكرية معينة فهي لا تعدو عن كونها نزهة في شاطئ نهر أو تطلعا إلى السماء الزرقاء التي توشيها السحب البيضاء النظيفة، كلها أشياء تروي النفس بأحاسيس جمالية مريحة، وإن لم تشبع العقول الجائعة إلى لون من المعرفة" .[45]

الخاتمة

وبالنظر فيما سبق يتبين لنا أن الأدب الإ سلامي الذي عنيناه في طول البحث وعرضه، ويدعو إليه الدعاة هو ذلك اللون من الأدب الذي يحمل عاطفة أو نزعة إسلامية، ويعبر عن فكر إسلامي ويدل على مفهومه، أو يدعو إليه، فالذي يميز الأدب الإسلامي عن غيره من ألوان الأدب ومذاهب فن القول محليا وعالميا هو الدلالة والمحتوى، وليس الصورة أو

الشكل أو القالب أو اللغة التي قيل بها – وإن كانت العربية هي لغته الأولى. وليس من الضروري ليصير الأدب إسلاميا أن يكون دعاء و تسبيحا وتحميدا واستغفارا وابتهالا .. وذكرا لأنعم الله وآلائه .. وليس ضروريا – كذلك – أن يكون مدحا للرسول - صلى الله عليه وسلم - وتسجيلا لانتصاراته وصفاته وشمائله أو يكون إطراء ومدحا لأصحابه الغر الميامين، وتغنيا بأمجاد الإسلام والمسلمين، وإشادة ببطولاتهم وتاريخهم الماجد النبيل..، ليس هذا وحده هو الأدب الإسلامي، فهذا جزء من كل... فالأدب الإسلا مي - حسب ماقدمناه - أوسع من ذلك بكثير؛ إذ قد يوجد نص أدبي ليس فيه شيء مما قدمنا من تلك الأمور، ومع ذلك يدخل في باب الأدب الإسلامي، وربما أكثر لصوقا به من غيره؛ لأنه أكثر تعبيرا عن "امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية" الحية الدافقة، وأدعى إلى نوازع الخير والطهر والجمال والعفاف التي جاء الإ سلام لإشاعتها في الكون وبسطها في العالم كله. والطبيعة من حولنا ومن داخلنا هي التي يتعين علينا أن نحاول السيطرة عليه ونسخره لما فيه منفعة للإنسان الذي خلق من أجله الكون، وليس بالعكس. وهذه نفس النقطة التي عبر عنها العلامة محمد إقبال إذ قال: " فك إسار الطبيعة، وأطلق الفن من قيودها، فأصحاب الفن إنما هم الصياد، وليسوا صيودا أو فرائس"[46].

المراجع والمصادر

1. د. إبراهيم أنيس والجماعة ، المعجم الوسيط (نيودهلي: دار الإشاعة الإسلامية، ب.ت) ص .9
2. المصدر نفسه ص .9
3. الدكتور جودة عبد الله جودة، الأدب العربي وتاريخه (القاهرة : مكتبة المنار، 1987م) ص 13 .
4. المصدر نفسه، ص 10
5. أبو الحسن علي الحسني الندوي،مختارات من الأدب العربي (بيروت:دار الشروق، ب.ت) ج1،ص3
6. د.محمد المنعم الخفاجي ، د. صلاح الدين محمد عبد التواب، الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام (بيروت:دار المناظرة ، ب. ت) ص .2
7. د. عدنان علي رضا، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته (الرياض:دار النحوي للنشر والتوزيع، سنة 1987م) ص40-41.
8. الدكتور محمد حلمي عليوه ، نظرات في الأدب الجاهلي (جامعة الأزهر، لا. ط، ب. ت) ص .23

9. طرفة بن العبد بن سفيان البكري شاعر جاهلي في شرق الجزيرة العربية وتوفي 60 قبل الهجرة.
10. أحمد بن محمد المعروف بابن عبدربه الأندلسي ، العقد الفريد ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1، 1404الهجري)، ج5/2
11. محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي ط1،(الدار البيضاء: المكتبة السلفية ، 1986م) ص .20
12. محمد أحمد العرب ، " نحو أدب جاهلي ، نعم ولكن كيف " ؟ مجلة الدعوة السعودية سنة 1999م: العدد 130.ص .47
13. محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي نفس المصدر، ص .20
14. عبد الله بن المقفع، صاحب كليلة ودمنة، توفي حرقا سنة 136الهجرية أيام الخليفة العباسي المنصور.
15. الدكتورعبد الرحمن رأفت الباشا ، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، (قبرص: دار الأدب الإسلامي، ب. ت) ص .132
16. هذه التعريفات مأخوذة بتصرف من مقال: وقفة مع تعريفات الأدب الإسلامي للدكتور جابر قميحة
17. د. نجيب الكيلاني : آفاق الأدب الإسلامي ، (القاهرة: مؤسسة الرسالة ، ب. ت) ص : .9
18. محمد حسين بريغش : في الأدب الإسلا مي المعاصر، (الزرقاء: مكتبة الأردن، ب. ت) ص .67
19. سورة النساء: .28
20. نجيب الكيلاني : الإسلامية والمذاهب الأدبية ط 3 (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1983م) ، ص .88
21. نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي ط1 (قطر: سلسلة كتاب الأمة ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، 1407ه)، ص .88
22. مسلم بن حجاج القشيري : صحيح مسلم، باب الإيمان (بيروت: دار إحياء التراث العربي ،ب.ت) ،
23. نصير أحمد ناصر : تاريخ جماليات ط 1 (لاهور : مجلس ترقي أدب ، 1962م) ، 256./1
24. الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة : الجامع الكبير ، كتاب الأدب، باب ماجاء في النظافة (بيروت: دار الغرب الإسلامي ، 1998م.) ،
25. البخاري ، أبوعبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز ط5 (داكا : المؤسسة الإسلامية بنغلاديش ، 2004م) ،
26. المصدر السابق.
27. جامع الترمذي، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعروالرجز رقم الصفحة 427، والحديث: .2765
28. ديوان عنترة (بيروت : دارصادر ، لا/ط، 1985م) ، ص .57
29. محمود شكري الألوسي ، بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق : محمد بهجة الأثري (بيروت : دار الكتب العلمية ، لا/ط ، ب.ت) ، 3/.117
30. أحمد بن حنبل : مسند أحمد (بيروت: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، لا/ط، 1398الهجري / 1978م) 2/.228
31. مجلة نداء الإسلام، 11: 33/1، إسلام آباد، يونيو 1998م/ ربيع الأول 1419الهجري، ـ من ترجمة إنعام الحق للنص الإنجيزي.
32. المصدر السابق.
33. الإسلامية والمذاهب الأدبية ، 39
34. المرجع السابق ، نفس الصحفة.
35. المرجع السابق : 47-48 .
36. المرجع السابق .42
37. المرجع السابق، نفس الصحفة
38. محمد بن سعد : الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، لا/ط، 1377الهجري/ 1957م) 4/.43
39. من ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام ، وهذا البيت حرره نجيب الكيلاني على ديباجة كتابه الإسلامية والمذاهب الأدبية، والأصل الأردي يوجد في : كليات إقبال ، لاهور: سنك ميل ببليكيشنز، لا/ط، د/ت، ص .297

40. كليات نظم حالي، تحقيق: افتخار أحمد صديقي، لاهور: مجلس ترقي أدب، ط 1، 1970م، ج2/124-125.
41. المصدر السابق ، 124.
42. عبد الحكيم خليفة : مقالات حكيم، جمع و ترتيب: شاهد حسين رزاقي، (لاهور: إدارة ثقافت إسلامية، ط 1، 1969م) 3/ 98-99.
43. الإسلامية والمذاهب الأدبية ، 34، أما الحديث فورد في الترمذي، كتاب البر، باب ماجاء في المزاح ، كما يلي : (قالوا: يارسول الله إنك تداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقا).
44. الإسلامية والمذاهب الأدبية ، 34.
45. المرجع السابق، 36.
46. كليات إقبال 293.